

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذه قصيدة تاريخية للاستاذ الشيخ محمد تقي الدين الهلالي المراكشي العراقي تلميذ الشارح ورئيس أساتذة آداب اللغة العربية بدار العلوم لندوة العلماء سابقاً. أنشدها بعدما أخبره الشيخ الشارح رحمه الله تعالى بإرادته الشروع في طبع الجزء الأول من «تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى» في شهر ربيع الثانى سنة ثلاث وأربعين بعد ألف وثلاثمائة من هجرة النبى صلى الله عليه وسلم .

بِسْمِ الإِلهِ الوَاحِدِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الخَالِقِ الرَّزَّاقِ ذِى الإِحْسَانِ
 المَالِكِ البَاقِ اللطِيفِ لِمَا يَشَاءُ
 رَبُّ الخَلَائِقِ مَالَهُ مِنْ ثَنَانِ
 خَضَعَتْ لِعِزَّتِهِ السَّمَوَاتُ العُلَى
 أَمَلَاكُهَا وَالنَّجْمُ وَالقَمَرَانِ
 وَكَذَا البَسيطَةُ برُثْهَا وَبُحُورُهَا
 وَدَوَابُّهَا وَالطَّيْرُ وَالثَّقَلَانِ
 وَبِحَمْدِهِ كُلُّ الخَلَائِقِ سَبَّحَتْ
 حَتَّى الجَمَادُ وَذَاكَ فى القُرْآنِ
 وَالرَّاسِيَاتُ تَشَقَّقَتْ وَتَفَجَّرَتْ
 وَتَدَكَّدَتْ كَدَكَّتْ مِنْ هَيْبَةِ الرَّحْمَنِ
 فَلهُ المَحَامِدُ كُلُّهَا فى هَذِهِ العَالَمِ
 هُوَ رَبُّنَا وَمَوْلَانَا وَغِيَانُنَا
 لَآ نَسْتَعِينُ بِغَيْرِهِ فى شَأْنِ
 كَلَّا وَلا نَدْعُو سِوَى رَبِّ العِبَادِ
 دَلِيقِينَا أَوْ دَفَعِ كَيْدِ الشَّانِ
 فَهُوَ القَدِيرُ عَلَى الأُمُورِ جَمِيعِهَا
 وَسِوَاهُ لَيْسَ لَهُ بِذَلِكَ يَدَانِ
 سُبْحَانَهُ مِنْ مَالِكِ خَلَقَ العِبَادِ
 دَقَدَرَ الأَرْزَاقَ بِالمِيزَانِ
 وَهَدَى الأَنَامَ بِرُسُلِهِ لِصَلَاحِهِمْ
 وَعَلَيْهِمْ قَدَ جَادَ بِالقُرْآنِ
 كُتِبَ مُطَهَّرَةً عَلَيْهِمْ أَنْزَلَتْ
 مِنْ رَبِّهِمْ لِهِدَايَةِ الإِنْسَانِ

حَاشَاءُ أَنْ يَدَعَ الْوَرَى هَمَلًا بِلَا
 خَتَمِ النَّبِيِّينَ الْهَدَاةَ بِخَيْرِهِمْ
 لِلنَّاسِ كُدِّهِمْ قَدْ أَرْسَلَ أَحْمَدًا
 وَيُظْهِرُ الْأَخْلَاقَ مِنْ شِرْكٍ وَمِنْ
 فَوْفَى بِمَا وَعَدَ الْإِلَٰهُ بِهِ مِنَ الْ
 وَهَدَى الْعِبَادَ بِنُورِ رَبِّهِمْ إِلَى النَّهْجِ الْقَوِيمِ بِرَأْفَةٍ وَحَنَانٍ
 مَا زَالَ مُجْتَهِدًا لِإِنْقَادِ الْوَرَى
 قَاسَى شِدَائِدًا لَوْ أُصِيبَ بِبَعْضِهَا
 فَأَقَامَ يَدْعُو غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِمَا
 حَتَّى أَتَى الْفَصْرَ الْمُبِينُ وَأَذَعَّتْ
 مُتَبَتِّلٌ لِلَّهِ مُتَعَبِّدٌ
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا ذُكِرَ اسْمُهُ
 بِشْرَى لَنَا يَا مَعْشَرَ الْإِخْوَانِ
 ذِي تُخْفَةٍ الْأَخْوَذِيِّ وَمِنْحَةٍ
 رُسُلٍ وَلَا نُورٍ وَلَا بُرْهَانَ
 وَالْكَتَبَ بِالْقُرْآنِ ذِي التَّبْيَانِ
 يَهْدِيهِمْ لِعِبَادَةِ الرَّحْمَنِ
 جَهْلٍ وَمِنْ ظُلْمٍ وَمِنْ كُفْرَانِ
 إِصْلَاحٍ لَمْ يَدْنِيهِ (١) عَذَّةُ ثَانٍ
 وَنَجَاتِهِمْ مِنْ هُوءِ الْخُسْرَانِ
 شُمُّ الْجِبَالِ لَهْرِنَ كَالْقَيْعَانِ
 لَاقَى مِنَ الْجُهَالِ مِنْ عُدْوَانِ
 زُمَرُ الْأَعَادِي أَيْمًا إِذْ عَانَ
 مَعْسُورُهُ وَالْيَسْرُ مُسْتَوِيَانِ
 وَالْأَلُ مَعَ أَضْحَابِهِ الشُّجْعَانِ
 ذِي نِعْمَةٍ جَاءَتْ مِنَ الرَّحْمَنِ
 لِلْأَلْمَعِيِّ الطَّالِبِ الْعِرْفَانَ

شَرَحَ بِهِ أَنْشَرَحَتْ صُدُورُ أُولَى النَّهْيِ

وَبِهِ الْمُحَادَّثُ نَالَ كُلَّ أَمَانِي

شَرَحَ يُجَلُّ الْمَشِكَلَاتِ بِجَامِعِ
 لِلتَّرْمِذِيِّ الْعَالِمِ الرَّبَّانِي
 شَرَحَ عِلَاقَ فَوْقَ الشَّرُوحِ بِحِكْمَةٍ
 وَبِعَابَةِ التَّحْقِيقِ وَالْإِتْقَانِ

(١) لم يثنه بإثبات الياء للوزن على حد قوله . .

ألم يأتيك والأنباء تنمى بما لاقت لبون بنى زياد

مَا شَانَهُ مَيْلٌ وَلَا عَصَبِيَّةٌ
 بَلْ زَانَهُ الْإِنصَافُ؛ تِلْكَ بِحُوتُهُ
 وَأَبَانَ أَحْوَالِ الرُّوَاةِ جَمِيعَهُمْ
 لَا غَرَوَ إِذْ أَبْدَاهُ بِمَجْرٍ زَاخِرٍ
 الْحَافِظُ الثَّقَةُ الْإِمَامُ الْمُهْتَدِي
 وَرِثَ الْمَكَارِمَ عَنْ أَبِيهِ الْمُرْتَضَى
 وَغَدَا سِرَاجًا لِلْهُدَايَةِ فِي (مُبَا
 اللَّهُ مَا أَبْدَاهُ هَذَا الْخَيْرُ مَنْ
 فَلَقَدْ أَتَى فِي شَرْحِهِ بِمَقَرَّائِدِ
 أَحْيَى بِهِ السَّنَنَ الَّتِي قَبَرَ الْمَدَا
 فَتَبَشَّرُوا أَهْلَ الْحَدِيثِ بِذَا الْكِتَابِ

بِ وَقَابَلُوهُ بِوَأَجِبِ الشُّكْرَانَ
 هُوَ نِعْمَةٌ الْمُسْلِمِينَ عَظِيمَةٌ
 حَاشَا أَخِي بَدْعِ جَهُولِ شَانِ
 عَمَّتْهُمْ وَأَوْلَى الْحَدِيثِ ذَوِي الْمُلَى
 خَصَّتْهُمْ بِزِيَادَةِ الْإِحْسَانِ
 إِذْ هُمْ هُدَاةُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْمُصْطَفَى
 الْمُرْتَقُونَ مَرَاتِبَ الْإِحْسَانِ
 مَا الْمُؤْمِنُونَ حَقِيقَةٌ إِلَّا الَّذِي
 قَدِ اقْتَفَوْا قَوْلَ النَّبِيِّ الْمَدَنَانِي
 جَمْعُهُ لِلذِّكْرِ الْحَكِيمِ فَاشْرَقَتْ
 أَنْوَارُهُ لَهُمْ بِكُلِّ بَيَانِ
 لَمْ يَضْرِبُوا بَعْضَ الْكِتَابِ بِبَعْضِهِ
 كَلَّا وَلَا قَوْلَ النَّبِيِّ بِمُقْرَانِ
 فَهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَايَةِ فَافْقَهُمْ
 إِنْ شِئْتَ أَنْ تَنْجُو مِنَ الْخُمْرَانِ

حَاشَا لَهُمْ أَنْ يَتْرُكُوا قَوْلَ الرَّسُولِ
 لَمْ يُحَدِّثُوا حَدِيثًا وَلَمْ يَقْفَرُوا
 وَرَمَتَهُمْ أَغْدَاؤُهُمْ بِعِيُوبِهَا
 خَلَقَتْ لَهُمُ الْقَابَ سَوَاءً مِثْلَ مَا
 وَاللَّهُ طَهَّرَهُمْ وَأَعْلَى قَدْرَهُمْ
 مَا حَرَّفُوا مِنْ آيَةٍ كَلًّا وَلَا
 هُمْ وَارِثُونَ نُورِ الرَّسُولِ فَلَذِيهِمْ
 أَهْلُ الْحَدِيثِ هُمْ الْأَلَى عَمَلُوا بِهِ
 إِلَّا إِذَا عَمَلُوا فَهَمُّ أَوْلَى بِهِ
 فَأَعْلَفَ عَلَى أَسْفَارِهِمْ تَنَدَّلَ الْمَنَى
 لِأَسِيًّا هَذَا الْكِتَابُ الْمُنْتَقَى
 وَاشْكُرْهُ مُؤَلَّفَهُ فِكْمَ فَاسَى الْعَمَا
 حَتَّى أَجَادَ بِحِكْمَةٍ تَرْصِيفَهُ
 مِنْ قَبْلِهِ أَبْدَى الْفَالِيفِ الَّتِي
 فَجَزَاهُ إِرْبُ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ
 تَارِيخُهُ (بَشْرَى لَكُمْ يَا مَعْشَرَ النَّاسِ)

-جَبَاءُ لُبًّا) فِي رَيْبِيعِ الثَّانِي
 يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ مَا غَنَّتِ الْوَزْقَاءُ فِي الْأَغْصَانِ

(١) كذا بالأصل . وفيها تصحيف وصحتها : كتفري . ليستقيم الوزن

(٢) » » » » عابدي أو عابده . ليستقيم المعنى

وَأَغْفِرْ لَنَاظِمِيهَا مُحَمَّدِ الْهَيْلَا لِي ذَنْبَهُ يَا وَاسِعَ الْغُفْرَانِ
فَرِّجْ بِفَضْلِكَ يَا كَرِيمٍ كُرُوبَهُ وَأَخْتِمْ لَنَا بِالْخَيْرِ وَالرِّضْوَانِ

قد عني بنشره [الطبعة الأولى] أبناء أخي الشارح - رحمه الله - عبد السلام
وعبد السميع ومحمد إدريس ومحمد أمين

تم - بحمد الله - الجزء العاشر
من كتاب

تحفة الاحوذى شرح جامع الترمذى

مذيلا بكتاب

شفاه الغلل شرح كتاب الغلل

للإمام أبي عيسى الترمذى

رحمنا الله وإياه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خاتمة

الآن - وقد أتمنا طبع هذا الجزء العاشر - نكون بحمد الله قد أكملنا طبع كتاب تحفة الأحوذى في طبعته الثانية ، التي تعد في الحقيقة بمثابة الطبعة الأولى . حيث كانت سابقتها خطية حجرية نباتية . غفلا من الضبط والرقم والفواصل والتنظيم . شأنها في ذلك شأن مطبوعات عصرها من أمهات الكتب والمراجع . . جزى الله من غني بها ، وقام على طبعها ونشرها بالهند بعد وفاة مؤلفها ، خير الجزاء .

أما نحن ، فنجد حقاً علينا أن نقوم لله بالحمد ، حيث أبدلنا بأكثر العسر يسراً . . وكان امتحانه لنا في الفذر اليسير .

ولسنا ندل هنا بمجهود بذلناه ، أو عنت عانيناه خلال مراحل طبع الكتاب . . من تبعات المسئولية العلمية ، أو مشقات الرحلات اليومية ، بين المطابع العديدة . أو متاعب الحصول على ورق الطبع الجيد على ندرته في ظروف غير مواتية . أو خلاقات الرأي في شئون الطباعة . بالإضافة إلى ضخامة حجم الكتاب الذي يبلغ اثني عشر جزءاً مع مقدمته . وربما ضرب الجزء الواحد منه في المائة الثامنة .

لسنا ندل بذلك أو ببعضه . . إنما فقط نعتد ونعتز بفضل الله سبحانه . الذي جبر ضعفنا - فيسر لنا العسير والكثير .

على أننا لا نزعم أننا بلغنا من أمرنا الكمال أو قاربناه . إنما نزعم صادقين
أنا تصرفنا مخلصين ، مبتغين في ذلك وجه الله - إنشاء الله - ثم المودة في ذاته
سبحانه بيننا وبين أختينا الناشر الهمام ، الفيور على نشر نفائس للكتب ،
العامل على إحياء سفة الرسول الكريم عليه صلوات الله ، الباذل في سبيلها
كرأثم المال .

أحسن الله إليه ، وأجزل له الثوبة وأعظم الجزاء .

كذلك لا نخفي - مما عانينا - أن تمت مطابع كانت على النصح والوفاء
عصية ، غير نقية . . لا بهمد وافية ، ولا لأمانة راعية . قليل من رجاء الثوبة
حظها . . هين من خوف العقوبة نصيبتها . . وإن كانت في مواكب الصالحين
ذات دعاء عريض . وصدق الله سبحانه إذ يقول : « ولكن الناس كانوا
أنفسهم يظلمون » .

لقد طبع الكتاب في مطابع أربع . . بل في خمس . . وهذا الجزء مثلا
طبع وحده في ثلاث مطابع . . وبرغم ذلك . . وسعياً وراء الأحسن ، لم نلق
فيه من المصاعب مالاقينا في أخوة له من قبل .

أما الأجزاء الأول فكان كسر الجبل أسهل منالا ، وأهون احتمالاً ، من
أن نبليغ في تجويدها أكثر مما بلغناه ، على طول الصبر والأناة .

ومن لدن الثالث إلى العاشر فالفضل والإحسان فيها مرجوع إلى الله
سبحانه . . والخطأ والتقصير - إن وجد - منسوب إلينا أنفسنا لا نرعى به بريئاً .
لقد كان هناك فوارق جوهرية بين الناس . وكان طبع الكتاب محكاً
للصبر والاحتمال ، المدعوم بالتصميم والإصرار على التجويد والإنجاز . كذلك

كان معتركا للأخلاق والقطر والطبائع ، وكان أيضاً دراسة للنفس البشرية
في تقلباتها وأهوائها .

ولست أنكر - للحق والإنصاف - أنني صادفت في خلال ذلك الكثير
من الطيبين المجيدين . أولئك ، بفضل الله وتوفيقه - ثم بمعونتهم - وفق
الله إلى كثير الإحسان .

رحم الله المؤلف وأتباعه وأئامه الجنة وألزمنا والصالحين من عباده كلمة التقوى
وصلى الله على نبيه الكريم . وآله وصحبه أجمعين . والحمد لله رب العالمين .

عبد الرحمن محمد عثمان

القاهرة : غرة رجب ١٣٨٧
١٩٦٧